http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1734) السنة السابعة -السبت(27) شـباط 2010

جانب من الحضور الذي اكتظت به قاعة بيت المدى

بغـــداد / المدى

تصوير / مهدي الخالدي

نحن على قناعة بأن قراءة ابو سعيد (عبد الجبار وهبي) قراءتان، قراءة لمقالاته الصحفية، وقراءة لحياته. في الأولى، نجول في عوالم البساطة والحميمية والرؤى، والذات ومواجعها، والناس وحرائقهم الأبدية، وفي الثانية نمسك بيد التاريخ الذي يدلنا على البقع الأرجوانية العديدة بدءا من طفولته في البصرة في محلة المشراق، ورحلة النضال الى بغداد وبيروت، ثم الشام وعودة الى بغداد ثانية ليلقى مصيره المحتوم.

حياة القهر والمغالبة، والسخرية المرة من الأزمنة الباهتة، والظروف المعطوبة باليباس. لكنها مرسومة باريج النضال .. درب لا التواء فيه أو تورية في زمن صار جوهره الالتواء والتورية. مناضل وصحفي ظلت قضية الناس تركض في دمه، حقولا، وناسا، وذكريات، وأمكنة؛ صحفي تأخذه حمى الاقتلاع من دور الى دور وهو في عز صحوه وفتوة الشباب. ابو سعيد الذي هجر متع الحياة ليستبدلها باصعب واحلى المتع واعني بها متعة النضال والدفاع عن قضايا الناس.. فاستاذ الفيزياء هجر في لحظة يقين مهنة التدريس ليستبدل البدلة بالدشداشة والعرقجين.. بهذه الدشداشة يدخل ابو سعيد عالم الناس البسطاء ليقدم عنهم عمودا صحفيا عد ولايزال علامة بارزة في تاريخ الصحافة العراقية..

عن ابو سعيد الصحفي المناضل كانت فعالية مؤسسة المدى التي اقامتها في بيت المدى بشارع المتنبي في يوم ماطر كانت فيه بغداد تنفض عن نفسها غبار السنين.. في شارع المتنبي حيث اعتاد زواره ومريدوه التطلع الى (الفلكس) الذي يقف شامخا امام بيت المدى ينبئ المارة عن الشخصية التي سيفوح عطرها في المكان.. كانت صورة ابو سعيد تحتمي بالناس من زخات المطر التي حاولت ان تعطل نشاط الشارع فانزوت الكتب خجلة فيما اصرت صورة ابو سعيد على ان تبقى وسط الشارع تستقبل الناس لتطمئنهم على ان الحياة تستمر رغم كل شيء وان محاولات الارهابيين لن توقف الحياة.

المطر وانباء التفجير الذي حدث قبل ايام كان هاجس العاملين في بيت المدى وخوفهم من هذا التضامن بين الطبيعة والارهاب ان يوقف نشاط اليوم، بين تدفق المطر الغزير و عيون رجال القوات الامنية التي تراقب كل شاردة وواردة حفاظا على سلامة زوار الشارع، انتظم الناس صفوفا من اجل الدخول الى بيت المدى والحديث عن شهيد القلم عبد الجبار وهبي.

في احتفالية بيت المدى

أبو سعيد والمطر.. حين تصبح الكلمة طريقاً للشهادة

الطريق من الرياضيات الى اتحاد الشعب

مع انغام العود وصخب المتحدثين ولجاجة اسئلة الباحثين عن الكتب كانت صورة ابو سعيد تقبع وسط البيت متطلعة في وجوة الزائرين الذين كان سؤالهم الاول اين الملحق.. يتلقفون الملحق ويتطلعون بصورة ابو سعيد فيما كان الاعلامي يوسف ابو الفوز يصعد المنصة ليبدا حديث الذكريات.. كانت الحرة اول قناة تصل فيما الزميلة المذيعة تنفض ما تبقى من قطرات المطر وهي تسال من هم المتحدثون، لحظات وينطلق صوت ابو الفوز محييا الجميع طالباً منهم الوقوف دقيقة صمت اجلالا لذكرى الشهيد ابو سعد وشهداء الوطن ليبدأ بعدها ابو الفوز حديثا ممتعا كان عبارة عن سيرة ذاتية ملخصة لحياة هذا المناضل الذي يصفة معاصروه على حد قول ابو الفوز بانه : قصير القامة، ناعم، ذو وجه مفرط بالاحاسيس. انسان مفعم بالامل و الوداعة ، دائم الابتسام، نظراته ذكية تطل من تحت نظارته الطبية.. هذا هو عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) المولود في المشراق التي نشا فيها وترعرع ودرس في مدارسها ليذهب بعدها الى بيروت دارسا الرياضيات ومتخصصا في الفيزياء ، كانت هاتان المادتان طريقه في التحليل و التعمق في مشاكل الناس.

ويضيف ابو الفوز حين تمت اجازة جريدة اتحاد الشعب التي صدر عددها اليومي الاول في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٥٩ ليصبح ابو سعيد عضوا في هيئة تحريرها وليبدا رحلة الكتابة في عمودة اليومي (كلمة اليوم) التي كانت اشهر كلمة قيلت في تاريخ الصحافة السياسية في العراق حيث ارسى فيها اسلوبا متميزا في الكتابه يتوجة الى الناس مباشرة دون حواجز وفذلكات لغوية .

بين الدشداشة والعرقجين واحلام الطفولة

عن تجربة ابو سعيد في صحيفة اتحاد الشعب تحدث الروائي والاعلامي ابراهيم الحريري الذي كان احد شهود المرحلة الاخيرة من حياة ابو سعيد مبتدئا التساؤل من هو الشيوعي؟ ويجيب الحريري الشيوعي مناضل قبل كل شيء وهو مناضل من طراز خاص يتدرب ويتعلم ويتكون في المدرسة التي هي الحزب.. ولقد كان ابو سعيد مناضلا بحق اذ جسد عبارة مناضل شيوعي بالكلمة و الفعل وباتحادهما في داخله حد الشهادة.. ويستشهد الحريري بواحدة من مقالات ابو سعيد كان قد نشرها عام ١٩٥٩ بعنوان (كان امس) يقول فيها (امس كنت افرح مع الاطفال.. واهتز حين ارى بعضهم يرفع شرشفا عتيقا على عودين.. وعليه كلمات حمراء احبها واهتز حين ارى الاطفال الحفاة بالدشداشة والعرقجين.. يسيرون في موكب الغد الى سينتشل اطفال الوطن المتاخر الذي ينساه المترفون والمترفعون، حيث الصريفة والمزبلة والهور ومغارة الجبل.. حيث اعياد الاطفال هناك كسرة خبز وتمرة وزبيبة.. موكب الغد سيجمع الوطن في بيت كبير نظيف ليست على جدرانه سياط او سلاسل.. وسيضحك الاطفال ملء قلوبهم..) ويمضي ابو سعيد راسما طريق المستقبل (فليكن العمل في سبيل ان تصان شجرة تموز وتسقى بماء القوة والمنعة لتعطي المزيد من ثمار الديمقراطية والرخاء والسلم).

ويختم الحريري حديثه عن ابو سعيد قائلا : كان الشهيد المناضل مثالا للبساطة و التواضع فقد روى لي أحد الاصدقاء انه شاهد ابو سعيد ذات يوم يرتدي دشداشة عليها حزام جلد، يعتمر العرقجين، ويحمل على راسه صينية فيها السميط وكانه اراد بهذا المشهد ان يحقق حلم العودة الى الطفولة بارتداء الدشداشة و العرقجين.

المطر لم يمنع صورة ابو سعيد من ان تتوسط شارع المتنبي

ابراهيم الحرير وأبو الفوز والحديث عن ابو سعيد

حسان عاكف

معاذ عبدالرحيم

محمد علي يعقوب

انغام العود والوجه الحسن

كاظم غيلان

في السجن عرفت كيف تجتمع البساطة مع عمق التفكير

كان ثاني المتحدثين الاعلامي معاذ عبد الرحيم الذي استذكر لقاءه الاول بابو سعيد : بدات علاقتي بعبد الجبار وهبي في معتقل الخيالة في العام ١٩٦٠ بمعية الشهيد صالح محمد العبلي، وقبل ذلك القي القبض عليه في مدينة الناصرية.. كانت حالة البلاد آنذاك تشهد قطيعة بين الشيوعيين وعبد الكريم قاسم.. وكنت وابو سعيد نقضي وقتنا معاً متلازمين طوال الوقت ناكل ونشرب ونتحاور.. وبعد المعتقل اثمرت هذه العلاقة (مقهى السويس) في شارع الرشيد وكان حوارا منصبا حول تأسيسي جبهة تضم القوى الوطنية والتقدم الا ان الزمن كان قد وقف بالمرصاد حيث صحا العراقيون على انقلاب ٨ شباط الذي كان احد ضحاياه صديقي ابو سعيد الذي استشهد تحت وطأة التعذيب في تلك الفترة جاءتني نظيمة وهبي زوجت الشهيد ابو سعيد حيث كان الراحل قد اوصاها باللجوء اليه عند الحاجة وطلبت مني احد الامرين الاول ان اجد لها وظيفة تعتاش منها وقد بذلت المستحيل ولم افلح بذلك والامر الثاني ان احصل لها على جواز سفر بواسطة معارفي الا ان كلمة ممنوع من السفر كانت تسد الباب في وجهي..

ومضت السنون حتى عام ١٩٩٦ وكنت حينها عضوا في المكتب السياسي لحركة الوفاق الوطني ومدير اذاعة المستقبل حيث جاءتني ذات يوم ابنة الشهيد ابو سعيد الفنانة انوار عبد الوهاب تطلب ان اعينها فاستجبت للامر سألتها عن والدتها فقالت انها طريحة الفراش بسبب جلطة دماغية وكانت هذه مناضلة بحق شانها بشأن زوجها ابو سعيد الذي كان بالاضافة الى موقفه السياسي الصلب رجلاً بسيطاً ومتواضعاً ومن يراه بهيئتة النحيفة لا يصدق ان هذا الرجل الحافظ عن ابو سعيد واعجابه بالصحفي اللبناني (امين الاعور) وبقلمه الجارح الذي كان يحلل المعاني ويضع يده على تعابير جميلة. كان الاعور يكتب في جريدة الاخبار جريدة الحزب الشيوعي اللبناني آنذاك، وقال ابو سعيد مرة (بودي لو ازاول هذا اللون من كتابته القصيرة المعبرة كتابة نحن في امس الحاجة اليها في العراق) وقد حقق ابو سعيد امنيته من خلال عموده الشهير في جريدة اتحاد الشعب. اما المحطة الثالثة فهي تشعب اهتمامات ابو سعيد حيث كان عضوا في نقابة الصحفيين واتحاد الادباء ونقابة المعلمين وفي حركة السلم العراقية، مكرسا حياته كلها في النضال في تلك الميادين على اختلاف مجالاتها، رجل لم يترك دقيقة واحدة من وقته دون ان يقدم شيئا لقضية وطنه ويضيف عاكف ما زلت اذكر الاعوام الاولى من فترة حكم عبد الكريم قاسم حيث كانت الجماهير تردد الاهزوجة الشهيرة (اسأل الشعب ماذا يريد وطن حر وشعب سعيد) وحين حدث الخلاف بين الشيوعيين وعبد الكريم قاسم وبدأت الاعتقالات ومحاصرة الشرطة لكوادر حزب الشيوعي كتب ابو سعيد مقالا مشهورا كان عنوانه (اسأل الشرطة ماذا تريد وطن حر ونوري سعيد) اشارة الى المضايقات التي كان يتعرض لها الشيوعيون من قبل الشرطة ويختتم الدكتور عاكف في مشهده الاخير من حياة ابو سعيد مستشهدا في كتاب علي كريم سعيد (العراق البيرية المسلحة) اذ يذكر المؤلف الظروف التي مر بها في المعتقل: فيقول (اعتقل عبد الجبار وهبي مع رفيقه جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي حيث تعرضوا الى تعذيب شرس في قصر النهاية يصفه الضابط محمد علي سباهي الذي كان عضوا واحد مؤسسي حزب البعث قبل ٨ شباط : في عام ١٩٦٣ زرت عمار عروش في قصر النهاية وكان مشرفا على التحقيقات فرأيت عنده عبد الكريم الشيخلي – وزير الخارجية فيما بعد – وايوب وهبي وخالد طبره وهناك فجاة رأيت الصحفي عبد الجبار وهبي ممدا على الارض وكان على وشك الموت يطلب الماء فيجيبه خالد طبر (ها كواد تريد مني ماي)!! ولم.

ويختتم عاكف حديثه بشهادة الدكتور فؤاد بابان التي يقول فيها: كنت معتقلاً في قصر النهاية فرأيت عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) مقطوعة احدى رجليه حيث نشرت بالة قطع حادة وكان الى جانبه شخص آخر لديه يد واحدة.. منها.

شخصية بسيطة إلا أنها كانت أقرب إلى الخيال

كان اخر المتحدثين الاعلامي محمد علي يعقوب الذي وصف في كلمة مختزلة شخصية ابو سعيد قائلا : عبد الجبار وهبي انموذج للمثقف العضوي الذي وصفه غرامشي بالمناضل الفكري، وهو اشد صلابة وامضى تأثيرا من انواع النضال الاخرى مجتمعة، فلم يكن ماركس يحمل مدفعا رشاشا الا ان كلماته كانت ترعب قوى الاستغلال الراسمالي، ولما القي القبض على ابو سعيد لم يكن مصارعا او ملاكما ولم يكن يحمل سلاحاً الا ان كلماته التي كان يقراها الناس في عموده اليومي (كلمة اليوم) اشد من الرصاص لقد كان ابو سعيد يحمل مشروعا لبناء وطن ديمقراطي تسوده قيم العدالة، الا ان الجلادين كانوا بانتظاره ليطفئوا هذا الحلم، لكن كلمات ابو سعيد ظلت متوهجه لتخبرنا ان البساطة يمكن ان تكون احدى خصائص القوة.

دعوة الى كلية الاعلام

بدأت المداخلات بكلمة الشاعر كاظم غيلان الذي طالب بضرورة تدريس كتابات ابو سعيد وابو كاطع كي يتعلم منها صحفيو المستقبل كيف تكون الكتابة دليلاً في الطريق إلى الحرية والعدالة الاجتماعية. فيما اكد الشاعر والاعلامي فاروق بابان ضرورة اجراء حملة تواقيع بين المثقفين بمقاضاة قتلة ابو سعيد وهم خالد طبره ومحسن الشيخ راضي الذي ما زالوا يسرحون في بعض العواصم العربية.

سلالة النور

في الزمن الجديد يحاول البعض طي صفحة ابو سعيد وزملائه من شهداء القضية الوطنيه العراقية ويا للعجب الذي لا يصدق، في زمن لا يصدق أيضا.. أن نقرأ من الذين يكتبون التاريخ الثقافي والسياسي ممن يريدون طيّ صفحة ابو سعيد باعتباره ماضويا، كما يريدون المرور بسلام عادل وقبله فهد والاف الشهداء مرورا عابرا (وهم بذلك أشبه بالذين يعرفون الاماكن من اللافتات التي تحمل أسماءها فقط دون الغوص في معانيها ودلالاتها وتاريخها الحقيقي)، لكن الحارس الأكبر، أعني الزمن الذي في طليعة صفاته: الديموقراطية.. يرفع بيديه مرآتين، الأولى: تري هؤلاء العابرين قاماتهم وصورهم الحقيقية، فينكفئون على أنفسهم مدركين مدى ضآلتهم. وفي المرآة الثانية: يريهم، أي الزمن، ابو سعيد ورفاقه بتمام قامتهم المضاءة لأنهم وحدهم المتحدرون من سلالة النور.

قالوا في عبد الجبار وهبي «أبو سعيد»

مثال في الكرامة

تذكر ابو سعيد اليوم ليس تذكراً (عابرا) لكن عابر بأدوات الماضي و الحنين المقطوع عن قدرته في اضاءة الحاضر.. تذكر أبو سعيد هو استعادة حية للقوى الخلاقة التي حركت الحياة وصنعتها وأشارت الى بروق واحتمالات المستقبل.. إنه وبأمتياز احد اهم الاسماء الابداعية التي حولت أدب الكتابة الى فكرة وأيما فكر... انه خطاب يرفع السخرية عاليا في محاكمة الظواهر والاشياء و السلطة.

أنه احد صناع الحياة النادرين

ولا تكتمل سيرة ابو سعيد الا بأمراة مناضلة دخلت معه السجون و الحياة وسنوات النضال الشاقة و المريرة زوجته المحامية (نظيمة وهبي)

إنه مناضل ومبدع جعل من بناء عامية لغته فعلا ثقافيا يترفع عن ممارسات التملق والارتزاق و التقرب من رجالات السلطة و المال.

إنه مثال حي للكرامة و القامة التي لا تنحني أبدا.. بل ستظل قيامة يعجز القتلة الفاشست عن قبرها او حتى صدها

رياض النعماني

مدرسة صحفية

يتأكد من خلال (ابو سعيد) ان المدرسة الصحفية العراقية قدمت العديد من النماذج النادرة في الكتابة الصحفية على مر تاريخها. حري بنا مراجعة هذه التجربة ودراستها.. من قبل الباحثين والدارسين.

لم يكن (ابو سعيد) صحفيا لامعاً وكاتبا رائدا للعمود الصحفي الساخر الرصين فقط بل مربيا وانسانا ومناضلاً.. وراح ضحية لموقفه الثابت من المبادئ و الكلمة الشريفة، تحية له.. وللمدى التي مكنتنا من الاحتفاء بها.

جمال العتابي

عراقي اصيل

الشهيد عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) هو أحد النماذج الاسطورية التي انتجتها مدرسة غدت بعد حين كلية جامعة للثقافة الوطنية التي تعبر عن مطامح ومصالح القوى الاجتماعية المحرومة صاحبة المصلحة الحقيقية ببناء وطن حر وشعب سعيد.

تلك المدرسة كانت مدرسة ذلك العراقي الاصيل (يوسف سلمان يوسف) الذي تربى ونشأ في ارض السومريين في الناصرية ذات الارث العراقي الكبير حيث كانت الملحمة الاولى للانسان ملحمة كلكامش.

وابو سعيد هو المثقف العضوي الحقيقي الذي كتب عنه انطونيو غرامشي. كم نحن بحاجة الى امثاله في هذا الزمن الموحش.

محمد علي عبود